

أطر التفكير ونظرياته (2):

الأنظمة التمثيلية

نؤارة بادي

أستاذة بقسم علوم التربية، المدرسة العليا للأساتذة، القبة

nouara.badi@g.ens-kouba.dz

مقدمة

يُقسّم العلماء والباحثون في مجال علم النفس، وخاصة علم النفس المعرفي، الأفراد إلى عدة فئات مختلفة. ولكل فئة إستراتيجية معيّنة في التفاعل والاستجابة للمؤثرات الداخلية والخارجية. وهكذا يمكننا أن نفهم منبع تصرفات الأفراد وكيفية فهمهم للعالم الخارجي والتعامل معه. ومن هذه التصنيفات نجد:

- تصنيفهم بحسب تغليب الحواس لديهم ومعالجتهم للمعلومات الحسيّة إلى: سمعي وبصري وحيّي؛
- تصنيفهم بحسب جوانب الإنسان الثلاثة: فكري وشعوري وسلوكي؛
- تصنيفهم بحسب إدراكهم للزمن وتفاعلهم معه: من يهتم بالنّاس، ومن يهتم بالنّشاطات، ومن يهتم بالأماكن، ومن يهتم بالأشياء، ومن يهتم بالمعلومات، ومن يهتم بالوقت، ومن يهتم بالمال؛
- تصنيفهم بحسب الإدراك لديهم: من يعيش في موقع الذات، ومن يعيش في موقع الآخر، ومن يعيش في موقع المراقب؛
- تصنيفهم بحسب الأنماط السلوكية: اللّوام، والمسترضي، والواقعي، والعقلاني، والمشتمت؛
- تصنيفهم بحسب البرامج العقلية: من يميل إلى الاقتراب ومن يميل إلى الابتعاد، وصاحب المرجعيّة الداخليّة، وصاحب المرجعيّة الخارجيّة، ومن يميل إلى الإجمال، ومن يميل إلى التفصيل، وصاحب دافع الإمكان، وصاحب دافع الضرورة، ومن يُفضّل الخيارات المفتوحة، ومن يُفضّل الخيارات المحدّدة، ومن يعيش في الماضي أو في الحاضر أو في المستقبل.
- ولكلّ نمط من الأنماط السابقة مؤشّراته المختلفة التي تدلّنا عليه، ومنها نجد: السمات الجسدية، والسلوكية، واللغة، والكلام. وما يهتمنا في مقالنا هذا هو التصنيف الأول الذي يعتمد على أنماط التفكير: السمعي والبصري والحسي، أو ما يسمّى بالأنظمة التمثيلية.

1. مفهوم أنماط التفكير

تشير أنماط التّفكير إلى الطرق والأساليب المفضّلة للفرد في توظيف قدراته واكتساب معارفه وتنظيم أفكاره والتعبير عنها بما يتلاءم مع المهام والمواقف التي تعترضه. فأسلوب التفكير المتّبع عند التعامل مع المواقف الاجتماعية في الجوانب الحيّاتيّة قد يختلف عن أسلوب التفكير عند حل المسائل العلمية. ممّا يعني أنّ الفرد قد يستخدم عدّة أساليب في التفكير، وقد تتغيّر هذه الأساليب مع الزمن.

عرّف فليمنج وبونويل Fleming & Bonzell أنماط التفكير المفضّلة بأنّها: "الطريقة التي يستقبل بها الفرد المعرفة والمعلومات والخبرات، والطريقة التي يرتّب وينظّم بها هذه المعلومات، ثمّ الطريقة التي يسجّل ويرمّز ويُدّمج فيها هذه المعلومات ويحتفظ بها في مخزونه المعرفي. ومن ثمّ استرجاع المعلومات والخبرات بالطريقة التي تمثل طريقته في التعبير عنها".

وعرفها قطامي وآخرون كما يلي: "هي الطريقة التي ينتشل بها المعرفة والمعلومات والخبرة، والطريقة التي يُرتَّب ويُنظَّم بها هذه المعلومات، والطريقة التي يسجَّل ويرمَّز ويبرمج فيها هذه المعلومات ويحتفظ بها في مخزونه المعرفي. ومن ثمَّ يَستدعِمها بالطريقة التي تُمَثِّل طريقته في التعبير، إمَّا بوسيلة حَسَّية مادِّيَّة أو شبه صورية بطريقة رمزية عن طريق الحرف أو الكلمة أو الرقم."

2. نماذج ونظريات أنماط التفكير

2.1. نموذج بايفيو (1971) Paivio

يقوم هذا التصور، الذي وضعه بايفيو، على نظريته المسماة بنظرية التشفير الثنائي. تفترض هذه النظرية وجود نظام لتشفير أو تمثيل أو تجهيز المعلومات، تعرف باسم "نظم التمثيل الرمزية". وهي متخصصة في التعامل مع المعلومات، سواء كانت هذه المعلومات إدراكية أو وجدانية أو سلوكية. كما تفترض وجود نظامين فرعيين مستقلين لتمثيل أو تجهيز المعلومات. يختصُّ أحدهما بالتعامل مع الموضوعات أو الأحداث غير اللفظية. والآخر متخصص في التعامل مع اللُّغة؛ وهما: طريقة التفكير اللفظي وطريقة التفكير التصوري.

2.2. نموذج ستيرنبرج (1988,1993,1997) Sternberg

حسب نظرية أساليب التفكير، يرى ستيرنبرج أنّ هناك 13 أسلوباً للتفكير تندرج تحت الفئات الخمس وهي:

- الشكل ويشمل أساليب التفكير: الملكي، الهرمي، الفوضوي...؛
- الوظيفة، وتشمل: التشريعي، التنفيذي، الحكمي؛
- المستوى: العالمي، المحلي؛
- النزعة: المتحرر، المحافظ؛
- المجال: الخارجي، الداخلي.

ويُضيف ستيرنبرج: "إلا أننا نميل عادة نحو أسلوب واحد فقط داخل كل فئة من الفئات الخمس. ويمكن

توضيح خصائص الفرد في ضوء أساليب التفكير عنده". تتميز هذه النظرية بمجموعة من المبادئ هي:

- الأنماط، وهي تفضيلات في استخدام القدرات وليست القدرات نفسها؛
- التنسيق بين الأنماط والقدرات يؤدي إلى توليفه أكبر من مجموع أجزائه، أي أنّ الأنماط مهمة بالنسبة لنوعية العمل أو المهمة التي يختارها الفرد؛
- اختيارات الحياة يتطلب ملاءمة الأنماط وأيضا القدرات.

2.3. نموذج هاريسون وبرامسون (1982) Harison & Bramson

يقترح هذا النموذج وجود خمسة أساليب يُفضِّلها أو يتعامل بها الأفراد مع المعلومات المتاحة حيال ما يواجهونه من مشكلات ومواقف. يُبنى هذا التصنيف على أساس السيطرة النصفية للمخّ النمط الأيسر والنمط الأيمن. فلكلّ منهما نمط مختلف عن الآخر في معالجة وتجهيز المعلومات حسب نوع الأداء (منطقي، غير منطقي)، ومحتواه لفظي- تصوري. ينتج عن ذلك خمسة أساليب تفكير أساسية. والتفكير من حيث أساليبه أو أنماطه أو استراتيجياته إلى مجموعة من الطرائق الفكرية التي يعتاد الفرد أن يتعامل بها مع المعلومات المتاحة لديه حيال ما يواجهه من مشكلات ومواقف على النحو الآتي:

أ. **التفكير النموذجي**: يفترض الفرد المثالي إمكانية الملاءمة بين وجهات النظر المختلفة والبدائل المتعددة. ويمكنه التوصل إلى حل شامل يرضي جميع الأفراد ويسعد الناس. ويكون المثالي راسخاً وثابتاً بقدر زيادة بحثه عن المثاليات

في المواقف. والاستراتيجية الرئيسة للفرد المثالي هي التفكير المتعلق بالفهم الجيد، إذ يرغب في أن يعيش الناس معاً في حب وتجانس. وهذا يتم إذا اتفقوا على أهداف عامة.

ب. **التفكير العملي**: يعتقد الفرد ذو التفكير العملي أنّ الأشياء تحدث بطريقة تدريجية. وللحقائق والقيم عنده أوزان متساوية. والمهمّ عنده ماذا يحدث؟ العوامل الذاتية، مثل الانفعالات والمشاعر تكون حقائق إذا كانت مناسبة للموقف. والاستراتيجية الأساسية للفرد العملي هي المدخل التوافقي، وهي استراتيجية كلية تعتمد على مبدئين هما: ماذا نفعل؟ والاعتماد الكلي على الموقف. وهذا المدخل التوافقي ليس سلوكاً عشوائياً إنّما هو عملية تفاعلية بين الاستجابة والتكيف.

ج. **التفكير التحليلي**: يقصد به قدرة الفرد على مواجهة المشكلات بحرص، والاهتمام بالتفاصيل والتخطيط بحرص قبل اتخاذ القرار، وجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات مع تكوين النظرة الشمولية.

د. **التفكير الواقعي**: لا يختلف عن أسلوب التفكير العملي، ولكنّه يختلف في القيم والاستراتيجيات المستخدمة. يُعنى التفكير الواقعي بالاعتماد على الملاحظة والتجريب، وأنّ الأشياء الحقيقية أو الواقعة هي ما نخبره في حياتنا الشخصية مثلما نشعر به ونلمسه ونراه ونشمه. شعار صاحب التفكير الواقعي "الحقائق هي الحقائق".

4. 2. نموذج مؤشر النمط مايرز برجز (Mayers- Briggs type indicator)

يقوم هذا النموذج على نظرية الأنماط النفسية النابعة من أفكار يونغ. وهي أنّ السلوك لا يرجع إلى الصدفة، ولكن ينتج عن فروق قابلة للقياس في الوظائف العقلية، حيث يقسم الأفراد إلى النمط المنبسط أو المتمركزين خارج الذات؛ والنمط الحسي والنمط الفكري؛ والنمط الحكيم أو القضائي.

5. 2. نموذج فارك Vark

يتكوّن هذا النموذج من أربعة أنماط تفكير مفضّلة لدى الأفراد. حيث يمثّل الحرف (V) كلمة (Visual) ويدلّ على النمط البصري. ويمثّل حرف (A) كلمة (Aural) ويدلّ على النمط السمعي. ويمثّل حرف (R) كلمة (Write/Read) ويدلّ على النمط القرائي. ويمثّل حرف (K) كلمة (Kinesthetic) ويدلّ على النمط العملي.

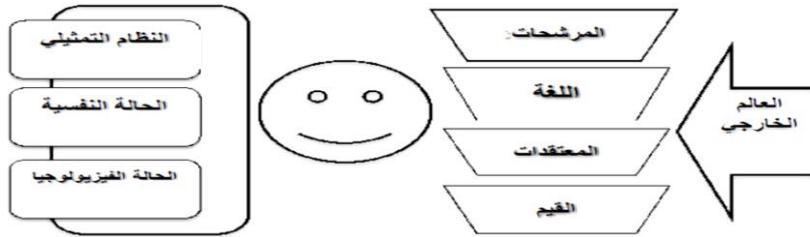
يُركّز نموذج فارك على الوسائط الحسية الإدراكية التي يميل الفرد إلى استخدامها. والتركيز على كيفية تمثيل الدماغ للخبرة التي يواجهها، أو أساليب استقبال المنهات بهدف استيعابها. كما أنّ الطريقة المفضّلة التي يستخدمها الفرد في تنظيم ومعالجة المعلومات والخبرات، وهي طريقته المميزة في تفكيره واستقباله للمعلومات المقدّمة إليه من البيئة، وطريقته في حل مشكلاته ويتم تصنيف الأفراد وفق نموذج فارك إلى أربع فئات:

- نمط التفكير البصري (Visual): يعتمد الفرد في هذا النمط على الإدراك البصري والذاكرة البصرية، ويتّصف بترجمة ما يراه بشكل مناسب، ولديه قدرة على إدراك علاقات الخبرات الصورية بعضها ببعض.
- نمط التفكير السمعي (Aural): يعتمد الفرد على الإدراك السمعي والذاكرة السمعية، ويتّصف بفهم الخبرات المسموعة، ولديه قدرة عالية على الاستماع وتجهيز الخبرات والمعلومات السمعية.
- نمط التفكير القرائي/الكتابي (Read\Write): يعتمد الفرد على إدراك المعاني المقروءة والمكتوبة، ويدرك أفضل الخبرات التي يقرأها أو يكتبها، ولديه رغبة في تدوين الخبرات.

• نمط التفكير العملي/ الحركي (Kinesthetic): يعتمد الفرد على الإدراك اللمسي، ويتعلّم من خلال العمل اليدوي، ويفضل النماذج والمواقف الحقيقية والطبيعية، ولديه مهارة في استقبال وتجهيز ومعالجة الخبرات العملية.

3. نظرية أنماط التفكير (الأنظمة التمثيلية)

يُعدّ ريتشارد باندلر وجون جرنندل من رواد هذا النموذج من أنماط التفكير. يعتقد هذان الباحثان بأننا إذا كنّا نفهم العالم من حولنا ونجمع المعلومات عن طريق حواسنا الخمس، بحيث نرى ونسمع ونتذوق ونلمس ونشم ما حولنا، فإننا أيضًا نمثّل هذه الأشياء داخليًا في أذهاننا. وبالتالي إمّا أن نتذكر تجارب حقيقية حدثت في الماضي أو نتخيّل تجارب مستقبلية محتملة أو غير محتملة. فالتجارب التي حدثت في السابق هي عبارة عن صور ذهنية من الذاكرة، والتجارب المستقبلية هي صور ذهنية مبتكرة، ويمكن أن نمثّل الصورتين. يستخدم كثير من الناس النمط السمعي للتحدّث مع أنفسهم، وهذه إحدى طرق التفكير. والبعض الآخر يستخدم النمط الصوري. والبعض يستخدم حدسهم ومشاعرهم، وليس هناك طريقة واحدة للتفكير.



الشكل 1: يوضّح عملية معالجة المعلومات.

3.1. مفهوم أنماط التفكير (الأنظمة التمثيلية)

يُعرّف الزهراني الأنظمة التمثيلية على أنها عبارة عن كيفية تمثيل الأشياء في الذهن، أي كيف نشقّر الحدث، هل شقّر كصورة أو صوت أو إحساس. وهذا يشكّل مصدر العديد من معتقداتنا وسلوكياتنا وقيمنا وفهمنا، والذي بدوره يشكّل ويصيغ الممثّلات الداخلية التي نستخدمها. ويُعرّف التكريتي الأنظمة التمثيلية أو أنماط التفكير بأنها الحالة العقلية لفرد ما في لحظة ما. وهي ما يراه الشخص ويتصوّره ويحسّ به في مخيلته، وما يُحدّث به نفسه، ثمّ ما ينعكس من ذلك كلّ على حركاته وتنفسه وتعبيرات وجهه وحركات عينيه.

ويُعرّف أنتوني الأنظمة التمثيلية على أنها تعبير عن كيفية تشكيل تجربتنا في هذا العالم عن طريق المعلومات التي نتلقاها باستخدام الحواس الخمس. وبما أنّنا نميل إلى تطوير أسلوب معين فالبعض يتأثر بما يراه نظامه البصري السائد، أمّا بالنسبة لآخرين فإنّ الصوت هو الذي يطلق أعظم تجاربهم، بينما يكون الإحساس هو الأهمّ لآخرين.

3.2. أنواع أنماط التفكير (الأنظمة التمثيلية)

يعتبر كل من جون جرنندل وريتشارد باندلر أنّ باستخدام حواسنا في التفكير، وتسمّى الأنظمة التمثيلية أو أنماط التفكير السمعي والبصري والحسي، فإننا نمثّل المعلومات الصادرة من الحواس الخمس على شكل رموز ونمثّلها داخليًا في أذهاننا على شكل صور أو أصوات أو أحاسيس. لا تستخدم هذه الأنظمة وحدها منفصلة عن بعضها، أي لا تستخدم نظام تمثيلي واحد فقط. فالتفكير أو معالجة المعلومات تشمل جميع الأنظمة والأنماط أو بعضها بشكل

أساسي، حيث يميل الناس إلى استخدام نظام واحد أكثر من غيره، فكلُّ تجاربنا وخبرتنا ما هي إلا نتيجة لما نرى ونسمع ونلمس ونشم ونتذوق. عند تحليل مهارة شخص نجدها تعمل بواسطة تطور وتسلسل هذا النظام التمثيلي.

أ. **نمط التفكير السمعي**: يستخدم هذا النظام التمثيلي ذاكرة الأصداء الصوتية لأنها مسؤولة عن استقبال الخصائص الصوتية للمثيرات البيئية. ومن بين صفات أنماط التفكير السمعي ما يلي:

- الشخص السمعي هو الذي يتميز بنظام تمثيلي أساسي سمعي، ويميل إلى التنفس المعتدل والتحدث بهدوء دون مقاطعة غيره ويتحدث بنغمة وإيقاع متباينين.
- تكون حركاته الجسدية أقل من الشخص الصوري، فهو يميل برأسه إلى أحد الجانبين وكأنه يستمع إلى شخص على الهاتف.
- تتحرك عيناه في المجال الأفقي، وهو يُسيطر على إيقاع صوته وهدوئه أثناء التحدث.
- عندما يطلب من الشخص السمعي أن يصف تجربة فسوف يركّز أولاً على أصوات تلك التجربة.
- يعمل بنفسه بطريقة منتظمة نوعاً ما، ويتحدث بوضوح وصوت ذي مواصفات جيدة.
- يتكلم مع نفسه كثيراً ولديه حساسية مفرطة اتجاه الأصوات. وبسبب هذا، فإن الأصوات المزعجة تصرف عنه التركيز.
- يتعلّم بواسطة الإصغاء.
- يميل الأشخاص السمعويون إلى التنفس البطيء، والتحدث بنبرات ونغمات مختلفة ومتباينة، ولديهم القدرة على الاستماع دون مقاطعة.
- يتخذون قرارات مبنية على التحليل الدقيق.
- يقللون أدنى مستويات المخاطرة.

ب. **نمط التفكير البصري (Visually)**: هو العملية الكلية للتفكير من خلال الصور والعلاقة بين الصور. يفضل هورويتز استخدام مصطلح الصورة للإشارة إلى خبرة نوعية، واستخدام مصطلح التفكير البصري للإشارة إلى أنماط مختلفة من الخبرات التي تشمل على أنواع مختلفة من الصور، لكنها تتجمع معاً.

تشير الأدبيات النفسية والتربوية إلى أنّ الإنسان يتذكر 20% ممّا يقرأ، و 30% ممّا يسمع، و 40% ممّا يرى، و 50% ممّا يتحدث به؛ وأنّ استخدام أكثر من حاسة في عملية التفكير أفضل من استخدام حاسة واحدة.

لقد أظهرت نتائج أبحاث سبرلينج (1963) أنّ المعلومات عن المثيرات الخارجية تُخزّن في الذاكرة على شكل صور، وهي مطابقة على نحو حقيقي لما هو موجود في الواقع الخارجي. كما أنّ مثل هذه الانطباعات تبقى في هذه الذاكرة لمدة وجيزة. والتعرضات السريعة للخبرات البصرية تمكّن من استقبال معلومات كثيرة عن هذه المثيرات. ثم إنّ ما يتمّ تشفيره هو الجزء اليسير من هذه المعلومات، كما تشير نتائج دراسات كلمنهورد (1983). فهذه الذاكرة تشمل صوراً عقلية للخبرة البصرية تبقى لفترة قصيرة جداً بعد التعرّض المباشر للمثير، ممّا يتيح للفرد استدعاء بعض المعلومات عن الخصائص البصرية عن هذا المثير. ومن بين صفات النظام البصري ما يلي:

- أنّ الشخص البصري يستخدم الحركات الجسدية كثيراً أثناء حديثه، وذلك لوصف ما يراه في ذهنه من صور، وهو الإدراك الناتج عن الرؤية الحقيقية أو من الذاكرة أو حتى المتخيلة.
- الأشخاص البصريون هم الذين يتميزون بنظام تمثيلي أساسي بصري، ويميلون إلى التنفس السريع والتحدث بسرعة، وقد يقاطعون غيرهم ويتحدثون بصوت مرتفع.
- أنّ الشخص البصري يقف ويجلس في كثير من الأحيان، وجسمه منتصب وعيناه إلى الأعلى.

- غالبًا ما يكون تنفسه من أعلى الصدر.
- أما الحركة فتصرف انتباهه لأنه يتعلّم ويتذكر بمشاهدة الصور، ويصبح في حالة من الملل في المحاضرات والدروس والاتصال بالناس بدون وسائل إيضاحية، فهو يحتاج إلى هذه الوسائل المرئية للتفكير والتعلم والفهم.
- يهتم بالدرجة الأولى بالشكل أكثر من الأصوات المنبعثة منها، أو المشاعر التي تمثلها.
- هذا النظام يهتم ويقوم بمشاهدة الصور الخارجية، فالعالم أشياء مختلفة يمكن مشاهدتها.
- يتخذون قرارات بسرعة، مبنية على ما يرونه، ويفيضون بالطاقة.
- التفاعل العالي مع المتغيرات السريعة حيث لا تتوفر معلومات.
- يتعامل مع الاختبارات السريعة والشفوية بشكل جيد.
- سريع في الرد على الآخرين، ولديه حب السيطرة لأنه يظن أنه يرى الصورة كاملة.

- ج. **نمط التفكير الحسي (Kinesthetic):** يتميز الشخص الحسي بعدة أنماط سلوكية وعقلية، نجد من بينها:
- الأشخاص الحسيون هم الذين يتميزون بنظام تمثيلي أساسي حسي، ويميلون إلى التنفس البطيء والتحدث ببطء، ويتحدثون بصوت منخفض جدًا.
 - يُعبر الشخص الحسي عن مشاعره وأحاسيسه، وهو ينظر إلى الأسفل أثناء التحدث.
 - يبدو أحيانًا هادئًا وساكنًا عندما يتطرق لمشاعره الداخلية.
 - عندما يعبر عن مشاعره فإنه يعبر عنها بالكلمات وليس بالصور.
 - فهو يستخدم كلمات تدل على الحس والحركة والعمل واللمس والمسك.
 - يتنفسون ببطء شديد ويتحدثون ببطء ولهم وقفات طويلة أثناء معالجتهم للمعلومات.
 - ينصبون اهتمامهم بدرجة أكبر بالعواطف.
 - قراراتهم مبنية على المشاعر المستنبطة من التجربة.

3.3 طرق الكشف عن أنماط التفكير (الأنظمة التمثيلية)

- يمكن معرفة ذلك من خلال عدّة طرق متسلسلة: أولاً، استخدام مقياس الكشف عن النظام التمثيلي الأساسي؛ وثانياً، الكلمات المستخدمة بكثرة وبمنمطية وبتكرار من الفرد؛ وثالثاً، حركات العينين.
- أ. **المقاييس والاختبارات النفسانية:** من بين المقاييس المهمة في قياس التفكير نجد: مقياس ستيمبرج وهاريسون وبرامسون؛ ومقياس فارك من إعداد فليمينج؛ ومقياس سونايت لأنماط التفكير (الأنظمة التمثيلية) الخمسة. وهناك بعض المحاولات من بعض الباحثين في هذا المجال مثل: نموذج الزهراني والتكريتي.
- ب. **التأكيدات اللغوية:** هي عبارة عن الكلمات والتعابير التي نستخدمها في توضيح النظام الذي نفضّله. فبعض الناس يميلون إلى استخدام تعابير حسية لنظام تمثيلي معين أكثر من الأنظمة الأخرى. وبالاستماع إلى الكلمات والعبارات، أو عن طريق الكتابة يمكن بدقة تحديد النظام الغالب لدى الشخص. ويطلق على الكلمات المستعملة لتحديد النظام التمثيلي الأساسي "لحن الخطاب" أو "التأكيدات اللغوية".

الشخص الحسي	الشخص البصري	الشخص السمعي
يشعر - انفعال - هدوء إحباط - ضغط - مرتبك عصبي - وحيد - مرتاح مرهق - يضرب - ينزلق يطمنن - ناعم - خشن قاسي - يحمل - يعاني يلمس - يعانق.	يرى - ينظر - يراقب يظهر - يتخيل - بلون يتهياً - رؤية - وجهة حنق - لاحظ، عرض ليل ، نهار - وميض ظلام - صباح - شروق اختفى - يعكس.	يسمع - يستمع - يقول - ضحيج - صوت - كلام سكوت - ذروة إيقاع - قال - تحدث - شكى - سال -نطق صرخ - ثرثرة - غنى - أعلن - ذكر ناقش - طلب أصغى - أصم - صدى .

الشكل 2. يمثل التأكيدات اللغوية للأنظمة التمثيلية الأساسية.

إذًا فهي كلمات وجمل وصفية، وهي بالتخصيص أفعال وأحوال وأوصاف تدلُّ على أنَّ شخصًا يفضّل نظامًا تمثيليًا معينًا. ومع الاستماع للأشخاص سوف ندرك أنَّهم يلجؤون إلى تأكيدات لغوية بصرية أو سمعية أو حسية.

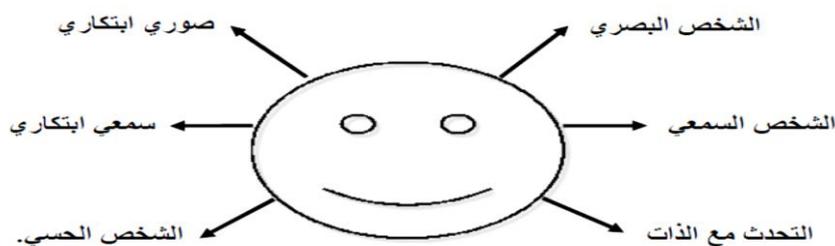
ج. **إشارات الوصول العينية أو حركات العينين:** تُستخدم حركات العينين أو إشارات الوصول العينية لفهم تغيير السلوك. فهذه الطريقة تصف العملية التي بها نفهم ونمثل العالم، وبها يُمكن الكشف عن نمط التفكير الأساسي (النظام التمثيلي). تشمل هذه الحركات النظر إلى الأعلى والأمام والأسفل واليمين واليسار. هذه دلالة على أننا نتذكّر ونبتكر تجارب مختلفة من خلال الصور والأصوات والمشاعر، الخ.

ومن بين إحدى الدراسات الأولى عن حركات العينين والتي تعتبر من الأبحاث الكثيرة التي تحدثت عن الدماغ، ومنه الشق الأيمن والأيسر الدماغ المهيمن وعلاقته بالنظام التمثيلي الأساسي والغالب، دراسة قام بها داي Day نُشرت في مقالة علمية تحت عنوان (Eye Movement Phenomenon). صدرت هذه الدراسة عام 1964، في مجلة (Perceptual Motor Skills). وذكر فيها داي أنَّ الأشخاص يبدؤون في استخدام حركات العينين من سنّ الثالثة كردّ فعل اتجاه الأسئلة والاستفسارات المختلفة، والتي تتطلب الإجابة عنها قدرًا من التفكير والتأمل.

هناك نتائج الأبحاث التي أصدرها غيليلن وأورنشتاين سنة 1874 في مجلّة (Neuropsychological) بعنوان (Individual Differences in Cognitive). أكّدت كلُّ هذه الدراسات اتجاه حركات العينين بناءً على النصف الدماغ المهيمن أو المتخصّص في كل حركة. وأنَّ حركات العينين اتجاه اليسار تعمل على تنشيط الفص الدماغ الأيسر المتخصص في المهارات اللغوية والتخاطب، على عكس الفص الدماغ الأيمن المتخصص في المهارات الصورية والمكانية. وقد يستخدم الإنسان حركات العينين الدالة على التذكر الصوري أو السمعي أو حديث النفس لذلك فإنّه يستخدم الفصّ الدماغ الأيمن وتتجه العينين نحو اليسار. وهذا الفصّ من الدماغ هو المسؤول عن معالجة المعلومات تزامنًا، ومعالجة الصور الذهنية، والأنماط والأشياء الجمالية، وله رد فعل قوي اتجاه المعلومات الصورية أو الحسية.

وبعد كلّ هذا، تبقى حركات العينين وعلاقتها بالتفكير تطبق على جميع الناس على اختلافهم في استخدام الفص الأيمن والأيسر في تخزينهم للمعلومات الصورية والسمعية والحسية ومعالجتهم لها. حيث تنطبق على الأكثرية من الناس هذه الاتجاهات لعيونهم، عندما يكون في ذهن الواحد منهم أحد الأنماط السّنة. وهناك حالات يحدث فيها العكس مثل التي يكون عليها الأعسر الذي يكتب بيده الشمال. وإذا غلب على شخص أحد الأنماط السّنة المذكورة

أكثر من غيره، نقول إنَّ النمط الغالب أو الأساسي على تفكيره هو النمط الصوري (ص) أو السمعي (س) أو الحسي (ح).



الشكل 3. يمثل نموذجاً لحركة العينين: إشارات الوصول العينية.

الخاتمة

تُعتبر عمليّة التفكير من أرقى العمليات المعرفية وأعقدّها، لما تتّصف به من عدّة عناصر تُستعمل في هذه العملية، من ترميز ومعالجة وتفاعل بين مجموعة من العناصر المختلفة والعمليات العقلية الأخرى مثل: الإدراك والذاكرة. ومن العناصر السالفة الذكر في هذا المقال أنّه يُمكن استنباط النّظام التمثيلي للشخص من الكلمات التي تصدر عنه، أي يمكن استخلاص نمط التفكير الأساسي من خلال الأدوات المناسبة من خلال المقاييس والاختبارات، وكذا حديث الشخص وحركاته. فإذا تحدّثنا مع شخص ولاحظنا حركات عينيه، يمكننا تأكيد ملاحظتنا من إشارات الوصول العينية له، أيّ من اتجاه حركات عينيه، والملاحظة الدقيقة للكلمات في مجمل الكلام. حيث تتّجه إلى غالبية نمط من الأنماط الثلاث على تفكيره. يُمكن تصنيف شخص معيّن بأنّه يغلب عليه أو على عُرْفه نمط معيّن من الأنماط السابقة.

المراجع

1. التكريتي محمد، (1994)، آفاق بلا حدود، بحث في هندسة النفس البشرية، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر.
2. جرين جوديت، (1992)، التفكير واللغة، ترجمة: عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتابة.
3. الدردير عبد المنعم أحمد، (2004)، دراسات معاصرة في علم النفس المعرفي، ج 1، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
4. أنتوني روبنز، (2001)، أيقض قواك الخفية، ترجمة: حصّة إبراهيم، مكتبة جرير.
5. الزغلول رافع النصير والزغلول عماد عبد الرحيم، (2008)، علم النفس المعرفي، دار الشروق، عمان، الأردن.
6. الزهراني عبد الناصر، (2005)، البرمجة اللغوية العصبية، ج 1، دار بن حزم.
7. شاكر عبد الحميد وخليفة عبد اللطيف، (2000)، دراسات في حب الاستطلاع والإبداع والخيال، دار غريب.
8. قطامي يوسف وأبو جابر ماجد وقطامي نايفه، (2000)، تصميم التدريس، دار الفكر، عمان، الأردن.
9. مجدي حبيب، (1996)، التفكير والأسس النظرية والاستراتيجيات، النهضة المصرية، القاهرة، مصر.